

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى رومية الحلقة الثانية والعشرون

صديقي المستمع، انتهينا في اللقاء الماضي من دراسة الأصحاح التاسع من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد بدأ في هذا الأصحاح معالجة مشكلة الديانة اليهودية وعلاقة الله باليهود. فأكد مبدأ هاما وهو أن ليس كل يهودي من نسل إبراهيم يعتبر من شعب الله، بل المختارون منهم فقط. وبرهن عن اختيار الله بأمثلة حية من العهد القديم. ثم ناقش موضوع إدانة الله للبشر، فبيّن أن مصير الإنسان المخلوق يعود لله وحده. وأن الله مختارين من كل الشعوب والأمم، كما أن البقية من اليهود ستخلص. وأكد الرسول بولس في نهاية الأصحاح أن اليهود لم يدركوا بر الله، لأنهم أرادوا الحصول عليه عن طريق حفظ الناموس وليس عن طريق الإيمان. وأنهم عثروا بالمخلص المسيح عندما أتى.

تابع الرسول بولس في الأصحاح العاشر بحثه لهذا الموضوع فكتب قائلا: "أيها الإخوة إن مسرّة قلبي وطلبتي إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص. لأني أشهد لهم أن لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة." يُعرب الرسول بولس هنا عن رغبته وطلبته لله من أجل خلاص بني جنسه من اليهود. ويعترف أيضا أن اليهود كانوا غيورين لله، لكن ليس حسب المعرفة الحقّة.

فما هو سبب عدم معرفة اليهود الحقّة يا ترى؟ أجاب الرسول بولس في العدد الثالث قائلا: "لأنهم إذ كانوا يجهلون برّ الله ويطلبون أن يثبتوا برّ أنفسهم لم يخضعوا لبرّ الله." لقد أراد اليهود بسبب جهلهم بحقيقة تبرير الله للإنسان، أرادوا أن يبرروا أنفسهم عن طريق حفظ الناموس. وهذا ما جعلهم يفتخرون بأنفسهم وبيبرهم الذاتي، وأن يرفضوا بالتالي برّ الله المقدم لهم مجانا.

لكن ألم تكن هذه الحقيقة، أي حقيقة تبرير الله للإنسان متضمنة في الناموس؟ أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال بقوله في العدد الرابع: "لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن." أجل أعزائي إن غاية الناموس أو هدفه هو الوصول للإنسان إلى المخلص المسيح، وتبرير الله الذي سيتم من خلاله. أي لم يكن الناموس أو شريعة الله غاية في حد ذاتها، بل كجسر عبور إلى المخلص المسيح. لقد كشف ناموس الله للإنسان عظم خطيته، ومدى عجزه عن السير بموجب شريعة الله، وحاجته إلى المخلص المسيح. وهو الذي أوضحه لنا الرسول بولس مرارا وتكرارا في الأصحاحات السابقة من هذه الرسالة.

وفي نفس الوقت إن المخلص المسيح هو الذي تم مطالب الناموس نيابة عنا، وأنهى بذلك قيوده على الإنسان. حصل هذا عندما نال القصاص عوضا عنا بموته الكفاري على الصليب من أجل خطايانا. وهكذا لم تعد علاقة الإنسان بالله علاقة الدائن بالمدين أو القاضي بالمجرم، ولم يعد الإنسان يواجه مطالب العدالة الإلهية. لقد جاء المسيح ليعلن لنا محبة الله ورحمته وغفرانه للذنوب، أي ليعلن نعمة الله المجانية. ولكي يحصل الإنسان على هذه النعمة أو بر الله عليه أن يؤمن فقط بالمخلص المسيح. وهذا الإيمان متوفرٌ للجميع، أي لكل من يؤمن، ولا فرق بين شخص وآخر، سواء كان يهوديا أم من أي شعب أو دين آخر. وبذلك يتبين لنا مرة أخرى أن أعمال الناموس أو الأعمال الصالحة عاجزة عن أن تمنحنا بر الله وغفرانه لذنوبنا، أو حتى تجعلنا نكسب رضاه. فهل أدركت هذه الحقيقة مستمعي العزيز؟

وكعادته اقتبس الرسول بولس من كتاب العهد القديم ليؤكد على صحة كلامه فكتب في الأعداد ٥-٨ قائلا: "لأن موسى يكتب في البر الذي بالناموس أن الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها. وأما البر الذي بالإيمان فيقول: هكذا لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء أي ليحدر المسيح. أو من يهبط إلى الهاوية أي ليصعد المسيح من الأموات. لكن ماذا يقول. الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك أي كلمة الإيمان التي نكرز بها." اقتبس الرسول بولس هنا آيتين للنبي موسى. الأولى من سفر اللاويين (١٨:٤ و٥) عندما قال أن من يفعل وصايا الله يحيا بها. لكن كما نعلم أن لا أحد يستطيع أن يطبق ناموس الله بسبب العجز البشري أو ضعفه. أما الآية الثانية فهي من سفر التثنية (٣٠:١١-١٤) عندما قال النبي موسى، إننا لسنا بحاجة أن نطلب وصية الله من السماء أو من عبر البحار، لأن الكلمة قريبة منا أي كلمة الإيمان، إذ هي في فم الإنسان وفي قلبه ليعمل بها.

أي أراد الرسول بولس القول، أنه مهما عملنا من أعمال صالحة فسنفشل في الحصول على بر الله. بينما كلمة الإيمان لا تحتاج إلى أي عمل أو مجهود نقوم به، إذ هي موجودة في قلوبنا وأفواهنا. وبتعبير آخر لقد قام الله بإنجاز عمل الخلاص والتبرير من أجلنا، فأرسل المخلص المسيح من السماء، ثم قدمه ذبيحة على الصليب للتكفير عن خطايانا، وأقامه حيا من بين الأموات. وما علينا نحن إلا أن نؤمن فقط. حقا ما أعظم محبة الله لنا، وما أوسع رحمته التي شملت الجميع، وما أعجب نعمته المجانية.

إذا كان الأمر كله أي تبرير وخلص الإنسان يتعلق بالإيمان، لكن بماذا نؤمن؟ أو ما هو موضوع الإيمان؟ أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال عندما كتب في العدد التاسع قائلا: "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت." إن موضوع الإيمان إذن كما ذكرنا قبل قليل هو شخص المخلص يسوع المسيح، وعمله الكفاري من أجل ذنوبنا على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات لكي يهبنا الحياة الروحية الجديدة والخلود. لقد قام الله بإعلان برّه وإنجاز عمل الخلاص بواسطة المخلص يسوع المسيح. وما علينا نحن إلا أن نؤمن فقط بما عمله الله من أجلنا. وعندها نحصل على تبرير الله لنا،

ويهبنا خلاصه الكامل مجاناً. أي يحقق الإيمان بالمخلص المسيح ما عجزت الأعمال الصالحة عن القيام به، وما عجز الناموس عن الوصول إليه، وهو تبرير الإنسان. فهل أدركت مستمعي العزيز هذه الحقيقة الهامة؟

ولنلاحظ مستمعي أن الإيمان الحقيقي يبدأ بالاعتراف أن المخلص المسيح هو الرب، أي هو السيد الذي يجب أن يسود على حياتنا. السيد الذي يجب أن نقدم له الطاعة والولاء، ويستحق منا العبادة والمحبة الكاملة. أجل إن المخلص المسيح هو الرب، إذ هو كلمة الله الأزلي وابنه الوحيد، الذي تجسد وصار إنساناً. وكان الهدف من مجيئه هو تحقيق خلاص الله ووهب برّه لكل من يؤمن. وبعد الاعتراف بأن المخلص المسيح هو الرب، يأتي الإيمان القلبي الصادق أن الله قد أقام المسيح من بين الأموات. فماذا يعني الإيمان بقيامة المسيح؟ إن إيماننا بقيامة المسيح يؤكد تقننا وقبولنا أن الله قد أنجز بنجاح عمل الخلاص والتبرير من أجلنا. والدليل على ذلك أنه بعد أن أتم المسيح عمل الفداء على الصليب أقامه الله من بين الأموات غالباً منتصراً. إن الإيمان بقيامة المسيح هو ركن هام من أركان المسيحية.

إن المسيح بقيامته حقق الانتصار الكامل على الخطية والموت وإبليس. فالمسيح لم يميت شهيداً، بل كان بطلاً منتصراً، إذ أنجز بموته وقيامته عمل الخلاص المجيد. إن المسيح حي الآن في السماء، وبسبب قيامته وانتصاره يستطيع أن يهب كل من يؤمن به الغفران الكامل والحياة الروحية الجديدة. وليس هذا فحسب بل يضمن دخوله إلى الأمجاد السماوية حيث يعيش إلى الأبد.

لهذا نجد الرسول بولس يؤكد في هذا العدد التاسع قائلاً: "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت." أي أن الإنسان عندما يعترف بالرب يسوع المسيح ويؤمن بقيامته يخلص. أي يحصل على خلاص الله الكامل ويصبح مبرراً أمام الله. فهل هناك أجمل وأعظم من هذه الحقيقة يا أعزائي، أننا نستطيع الحصول على خلاص الله وبرّه عن طريق الإيمان فقط؟

ثم عاد الرسول بولس وأكد هذه الحقيقة عندما أضاف في العدد العاشر قائلاً: "لأن القلب يؤمن به للبر والفم يُعترف به للخلاص." إن حصولنا على بر الله وخلاصه بحاجة إذن إلى الإيمان القلبي الصادق، والاعتراف الكامل بما عمله المسيح من أجلنا على الصليب، وبقيامته الظاهرة من بين الأموات.

أمام هذه الحقائق الهامة ما هو موقفك صديقي المستمع؟ هل تعترف بالرب يسوع المسيح وتؤمن أن الله أقامه من الأموات فتخلص إلى الأبد؟